Journal Of the Iraqia University (74-9) January (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

طرق مواجهة عوامل الانكسار والهزيمة في الحروب وفقاً للقرآن والسنة

١ـ الدكتور علي احمد ناصح أستاذ في جامعة قم كليه الالهيات والمعارف الإسلامي فرع علوم القرآن الحديث

٢ـ رياض فنجان السعيدي طالب دكتوراه في جامعة قم كليه الالهيات والمعارف الإسلامي فرع علوم القرآن الحديث

Methods of Confronting the Causes of Breakdown and Defeat in Wars According to the Qur'an and the Sunnah

aa.naseh@qom.ac.ir

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع : طرق مواجهة عوامل الانكسار والهزيمة في الحروب وفقًا للقرآن والسنة ، من خلال تحليل آيات القرآن الكريم والروايات الواردة في السنّة، والاستفادة من أقوال المفسرين من المدرستين: الروائية والعقلية عند الشيعة، والسنية الروائية والعقلية. تنطلق الدراسة من أنّ الهزيمة ليست مجرد خسارة ميدانية، بل نتيجة خلل في البنية الإيمانية والنفسية والاجتماعية والسياسية، وأن مواجهة الهزيمة — في القرآن والسنة — تحتاج إلى معالجة داخلية قبل معالجة الخارج، لأن أصل الهزيمة يبدأ من الداخل.وخلص البحث إلى أن القرآن يضع منهجًا متكاملاً للمواجهة، يبدأ من إصلاح القلوب (الإيمان، الصبر، التوكل)، ثم إصلاح المجتمع (الوحدة، الطاعة، العدل)، ثم الإعداد العملي (التخطيط، التدريب، القيادة، الاستخبارات، التحالفات). ويكشف البحث أنّ القرآن لا يفصل بين الروحي والمادي، بل يؤكد أنّ النصر يتحقق عندما تجتمع السنن الإلهية مع الأسباب العملية.

Abstract

This research examines the topic: Methods of Confronting the Causes of Breakdown and Defeat in Wars According to the Qur'an and the Sunnah, through an analytical study of the verses of the Holy Qur'an and the narrations found in the Prophetic Sunnah, as well as by drawing upon the interpretations of exegetes from both schools: the Shi'a (narrative and rational) and the Sunni (narrative and rational).The study begins with the premise that defeat is not merely a battlefield loss, but rather the result of a disturbance within the spiritual, psychological, social, and political structure of the community. Confronting defeat — according to the Qur'an and the Sunnah — requires internal reform before addressing external factors, for the root of defeat originates from within.The research concludes that the Qur'an presents a comprehensive framework for confrontation, beginning with the reform of hearts (faith, patience, reliance on God), then the reform of society (unity, obedience, justice), followed by practical preparation (planning, training, leadership, intelligence, and alliances). The findings further show that the Qur'an does not separate the spiritual from the material; rather, it affirms that victory is achieved when divine laws operate in harmony with practical causes.

المقدمة

يمثّل موضوع الهزيمة والانكسار في حياة الأمم إحدى أهم القضايا التي ركّز عليها القرآن، ليس من زاوية الحدث العسكري فقط، بل بوصفه ظاهرة حضارية ذات جذور إنسانية وإيمانية. فالقرآن حين تحدث عن هزيمة المسلمين يوم أُحد، لم يُرجعها إلى قوة العدو أو كثرة عدده، بل إلى الاختلال الداخلي، فقال تعالى:﴿**قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ**﴾ (آل عمران: ١٦٥). ثم بيّن أن استعادة النصر لا تكون بردّ الفعل الانفعالي، بل بالعودة إلى الله: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ (محمد: ٧).من هنا تنبع أهمية هذا البحث، لأن الأمة الإسلامية اليوم تواجه تحديات عسكرية وسياسية وفكرية تشبه في جوهرها ما وصفه القرآن. ومن ثم، فإن العودة إلى المنهج القرآني في فهم الهزيمة واستعادة القوة ليست حاجة فكرية فقط، بل **ضرورة استراتيجية** لبناء الوعي الحضاري.وتبرز مشكلة البحث في وجود فَهم قاصر لدى بعض الاتجاهات الإسلامية، يختزل النصر في القوة العسكرية وحدها، ويتجاهل السنن الإلهية التي تحكم حركة التاريخ. كما أن الأدبيات الحديثة في موضوع الحروب تتناول الجانب المادي دون

التأصيل القرآني، بينما القرآن يربط بين الداخل والخارج، وبين الإيمان والإعداد، وبين الروح والواقع.

الكلمات المفتاحية: طرق المواجهة – الانكسار – الهزيمة – الحروب – القرآن الكريم – السنة النبوية.

مشكلة البحث

مشكلة البحث تتمثل في السؤال الآتي:

كيف قدّم القرآن الكريم والسنّة النبوية منهجًا عمليًا لمواجهة عوامل الهزيمة والانكسار في الحروب؟

أسئلة البحث

ينبثق عن المشكلة مجموعة أسئلة فرعية، أهمها:

١. ما مفهوم الهزيمة والانكسار في القرآن والسنة؟

٢. ما العوامل الداخلية للهزيمة التي ذكرها القرآن؟

٣. ما العوامل الخارجية للهزيمة التي نبّه إليها القرآن والسنة؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

- الكشف عن **السنن الإلهية** في النصر والهزيمة.
- بيان الطرق القرآنية في مواجهة الانكسار، روحيًا وعمليًا.
- إبراز منهج القرآن في بناء القوة الداخلية قبل القوة العسكرية.
- المقارنة بين مواقف المفسرين من المدرستين (الشيعية والسنية).

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من أمور ثلاثة:

١. أنّه يربط بين الإيمان والواقع، ويحوّل التفسير من وعظ نظري إلى منهج استراتيجي في فهم الأحداث.

٢. أنّه يقدّم نموذجًا قرآنيًا عمليًا لبناء القوة الحضارية، في زمن تعاني فيه الأمة من الانكسار.

٣. أنّه يملأ فراغًا في الدراسات القرآنية المعاصرة التي نادرًا ما جمعت بين التفسير وبين علوم الإدارة والصراع والنهوض الحضاري.

منهجية البحث

اعتمد البحث على عدة مناهج علمية يعمل بعضها مع بعض:

- المنهج التحليلي النصي :عبر تحليل آيات القرآن والروايات في سياقها الموضوعي.
- المنهج المقارن :في مقارنة أقوال المفسرين من المدرستين التفسيريتين.
- المنهج الاستقرائي :باستقراء السنن الإلهية من خلال تتبع أحداث القرآن.
- المنهج الوصفي التحليلي :في وصف الظاهرة وربطها بالواقع المعاصر

حدود البحث

- يقتصر البحث على دراسة آيات وأحاديث النصر والهزيمة، ولا يتوسع في تفاصيل الحروب من الناحية التاريخية إلا بقدر ما يخدم تحليل السنن.
- الاعتماد في التفسير على التفاسير الروائية الشيعية أولًا (القمي، العياشي، مجمع البيان)، ثم التفسير العقلي (الميزان)، ثم التفاسير السنية (الطبري، القرطبي، ابن كثير)، التزامًا بمنهج البحث.

الدراسات السابقة

لقد تناولت بعض الدراسات موضوع النصر والهزيمة من زاوية تربوية أو تاريخية، مثل:

- كتاب طه جابر العلواني: سنن النصر والهزيمة في القرآن .
- كتاب الشهيد محمد باقر الصدر: سنن التاريخ في القرآن .

لكن هذه الدراسات لم تقدّم منهجًا متكاملاً يجمع بين التفسير المقارن والتحليل العملي للحرب كما فعل هذا البحث، الذي اتجه إلى علاج السؤال : كيف نُواجه الانكسار؟، لا مجرد شرحه.

الفرضيات

ينطلق البحث من الفرضيات الآتية:

- أنّ الهزيمة نتيجة لعوامل داخلية قبل كونها نتيجة لعوامل خارجية.
- أنّ المواجهة الفعالة يجب أن تجمع بين الإيمان والعمل.
- أنّ السنن الإلهية لا تحابي أحدًا، ومن عطّلها استُبدِل بغيره.

المبحث الأول: المواجهة الإيمانية والروحية

يُعدّ الإيمان بالله والتوكل عليه من الركائز الأولى في مواجهة أسباب الانكسار، إذ إنّ القرآن يجعل الثقة بالله شرطًا في الثبات عند الشدائد، كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ (آل عمران: ١٧٣)فالإيمان ليس مجرد شعور، بل قوة روحية تمنح الصبر والثبات أمام الخطر، وتجعل المؤمن يرى في الهزيمة امتحانًا لا نهاية. يقول الإمام علي (ع) في نهج البلاغة: عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم. [1] وهذا التعبير يختصر فلسفة المواجهة الإيمانية: فحين يتعاظم حضور الله في القلب، تصغر كل قوى الأرض.

المطلب الاول: الصبر والثقة بوعد الله

القرآن يجعل الصبر سلاحًا روحيًا في مواجهة الانكسار، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران: ٢٠٠). يقول الطبرسي في تفسير الآية: أمرهم الله أن يصبروا في طاعته، ويصابروا أعداءه، ويرابطوا على الثغور، فجمع بين القوة الروحية والعسكرية في سبيل الله. [2] ويقول الفخر الرازي في تفسيرها: الصبر أصل النصر، لأن النفس إذا انكسرت بالخوف لم تثبت في الميدان، فجمع الله في هذه الآية بين الصبر والمصابرة ليدوم الثبات. [3] أما العلامة الطباطبائي فاعتبر أن الصبر في القرآن ليس مجرد تحمّل، بل "وعي إيماني" يمنع الانهيار الداخلي، فقال: الصبر في القرآن هو ضبط النفس على مقتضى الإيمان عند الشدائد، وهو مظهر من مظاهر الجهاد الأكبر. [4] إذن، الصبر في القرآن ليس انفعالًا سلبيًا، بل قوة استراتيجية تبقي الأمة متماسكة أمام الانكسار.

المطلب الثاني: التوبة والعودة إلى الله

من الوسائل القرآنية لمواجهة الانكسار، الرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار، إذ يُعدّ الذنب من الأسباب الرئيسة للهزيمة، كما قال تعالى:﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾(الشورى: ٣٠).يقول القمي في تفسير الآية: إن البلاء لا ينزل إلا بذنب، ولا يُرفع إلا بتوبة. [5] ويقول الطبري: أعلم الله عباده أن ما يصيبهم من شدائد فإنما هو بما قدمت أيديهم، ليردّهم عن المعصية إلى الطاعة. [6] فالتوبة هنا ليست عبادة فردية فحسب، بل هي إصلاح جماعي يعيد الأمة إلى خط الطاعة ويمنحها طاقة روحية جديدة.

المطلب الثالث: التوكل والتفويض

قال تعالى:﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ (آل عمران: ١٥٩). وفيها كما يقول الشيخ الطوسي: إن التوكل لا يعني ترك الأسباب، بل الثقة بأن النصر من عند الله بعد بذل الجهد. [7] ويقول القرطبي في تفسيرها:التوكل هو الجمع بين الأخذ بالأسباب والاعتماد على المسبب، فمن ترك أحدهما ضيّع السنّة. [8] إذن، التوكل هو التوازن بين الإيمان والعمل، وهو الضمانة في مواجهة الهزيمة النفسية واليأس بعد الخسارة.

المطلب الرابع: الإيمان بالسنن الإلهية في النصر

قال تعالى:﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ**﴾ (آل عمران: ١٦٠). قال الطبرسي في تفسيرها:بيّن الله أن النصر بيده،ليعلم المؤمن أن القوة الحقيقية ليست في العدد،بل في الاعتماد على الله. [9] وقال ابن عاشور:هذه الآية تؤسس مبدأ السنن الإلهية في النصر والهزيمة، فلا يُنال النصر إلا حين تستوفي الأمة شروطه المعنوية والمادية. [10] فالإيمان بهذه السنن يجعل الأمة تتعامل مع الهزيمة بوعي لا بانكسار، فتعتبرها تنبيهًا للتصحيح لا نهايةً للوجود.

المبحث الثاني: المواجهة الأخلاقية والاجتماعية

تُعدّ المواجهة الأخلاقية والاجتماعية من أهم عناصر بناء القوة الداخلية للأمة، لأن الانتصار العسكري لا يمكن أن يتحقق في ظل مجتمع ممزق أخلاقيًا أو متفكك اجتماعيًا. فالقرآن الكريم حينما تحدث عن الهزائم والانتصارات، لم يُرجعها إلى العوامل المادية فقط، بل ربطها **بقيم العدالة، والطاعة، والوحدة، والتعاون، والأمانة.** ولهذا كان الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي في القرآن جزءًا لا يتجزأ من الإعداد للجهاد، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (الصف: ٤).إنّ "البنيان المرصوص" الذي يصفه الله تعالى ليس فقط في الصف القتالي، بل في تماسك المجتمع وتعاون أفراده. فالمجتمع الذي يفقد التماسك الأخلاقي لا يثبت أمام الأزمات، ومن هنا جاءت عناية القرآن والسنة بترسيخ الأخلاق الجماعية التي تشكل الأساس النفسي للنصر.

المطلب الأول: الوحدة ونبذ التفرقة

قال تعالى:﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣). قال القمي في تفسيره: حبل الله هو القرآن وأهل البيت (ع)، أمر الله بالتمسك بهما وعدم الاختلاف فيهما، لأن التفرقة تورث الهزيمة. [11] وقال الطبرسي: الاعتصام بحبل الله معناه الاتحاد على الإيمان، والنهي عن التفرق في الدين، لأن الفرقة في الأمة سبب الضعف كما أن الوحدة سبب القوة. [12] الطبري فقال: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الفرقة، لأن الاجتماع قوة والتفرق ضعف، كما أن العود إذا اجتمع لم يُكسر. [13] وقال ابن عاشور :هذه الآية أصل في بناء الوحدة الاجتماعية والسياسية، إذ لا نصر لأمة متنازعة في قيادتها أو فكرها أو صفها. [14] فالقرآن يجعل الوحدة **عبادة جماعية** لا مجرد اتفاق سياسي، إذ تمثل أساس الصمود أمام العوامل الخارجية للانكسار.

المطلب الثاني: الطاعة والانضباط

قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: ٥٩). يقول الشيخ الطوسي:الطاعة أصل النظام، وبها يُعرف القائد الحق من الباطل، ومن تركها فقد نقض بنيان الجماعة. [15] وقال العياشي عن الإمام الصادق (ع): أولو الأمر هم الأئمة الذين أمر الله بطاعتهم، لأن طاعتهم طاعة لله ورسوله، وبها يُحفظ الدين والجماعة. [16] وقال الرازي: الآية تدل على أن الطاعة التنظيمية في الأمة ضرورة لوجودها، فإن التنازع بين القادة سبب الفشل، كما وقع في غزوة أحد حين خالف الرماة أمر النبي ﷺ. [17] وقد علّق ابن كثير على ذلك بقوله: لما خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ، حصل ما حصل من الانهزام يوم أحد، فكانت الطاعة سببًا للنصر، والمعصية سببًا للهزيمة. [18] إذن، الطاعة ليست خضوعًا شخصيًا بل التزام بنظام الجماعة الذي يحفظ الأمة من الانقسام والفوضى في مواجهة العدو.

المطلب الثالث: العدل والإحسان

قال تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠). يقول الطبرسي: العدل أساس الملك والإحسان زينته، ومن عدل في حكمه وقاتل في سبيله نصره الله على عدوه. [19] وقال القرطبي: العدل من أسباب دوام النصر، لأن الله لا يُنصر الظالم، ولو كان مسلمًا، كما لا يخذل العادل ولو كان كافرًا، وهذه سنة الله في الأمم. ويقول العلامة الطباطبائي: العدل في القرآن ليس مجرد الإنصاف القضائي، بل هو نظام شامل لحركة المجتمع، به يتوازن الإنسان والأمة في مواجهة الفساد والظلم. [20] فالعدالة الاجتماعية والسياسية تمثل حصن الأمة الداخلي، إذ لا يمكن لجماعة ظالمة أو فاسدة أن تثبت أمام أعدائها.

المطلب الرابع: التعاون والتكافل الاجتماعي

قال تعالى:﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢). يقول القمي: أمر الله عباده أن يتعاونوا على الخير، لأن الأمة المتعاونة لا تضعف أمام البلاء. [21] وقال الطبري: البرّ هو كل عمل يقوّي الجماعة ويقربها من طاعة الله، والتقوى هي الحصانة التي تحفظها من الزلل. [22] وقال الرازي: هذه الآية تؤسس مبدأ المسؤولية الاجتماعية في الإسلام، فالانتصار لا يكون بالسلاح وحده بل بالتكافل بين أفراد الأمة. [23] وفي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. [24] إذن، التكافل الاجتماعي هو البنية الأخلاقية للمقاومة، لأنه يضمن تماسك الأمة وقت الشدائد.

المطلب الخامس: الإصلاح الاجتماعي ومحاربة الفساد

قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود: ١١٧). يقول العياشي عن الباقر (ع):إذا رأى الله قومًا يتعاونون على البرّ والإصلاح صرف عنهم البلاء، وإن كثر عدوهم. [25] وقال ابن عاشور: الإصلاح الاجتماعي يسبق القوة العسكرية، فالمجتمع الفاسد يُهزم قبل أن يقاتل، لأن العدل أساس بقاء الدول. [26] ويقول القرطبي: الفساد في الأرض سبب لرفع النصر، لأن الله لا يُؤيد من يظلم، ولو كان يدعي الجهاد في سبيله. [27] فالقرآن يربط الإصلاح الاجتماعي مباشرة بالنصر، لأن النصر في جوهره **مظهر من مظاهر رضا الله** عن المجتمع الصالح.

المبحث الثالث: المواجهة الفكرية والثقافية

تُعدّ المواجهة الفكرية والثقافية من أعظم ميادين الجهاد في الإسلام، لأن الحروب لا تبدأ بالسيف، بل تبدأ **بالفكر والتصوّر**، والهزيمة لا تقع أولًا في الميدان، بل في **الوعي والعقيدة**. وقد ركّز القرآن الكريم على هذا النوع من المواجهة لأن أعداء الإسلام في كل عصر سَعَوا إلى **إطفاء نور الله بالكلمة والتحريف والتشويه الإعلامي** قبل أن يهاجموا الأمة بالسلاح.قال تعالى:﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ (التوبة: ٣٢).تلك الآية تمثل القاعدة الفكرية الكبرى في المواجهة الثقافية، فهي تؤكد أن العدوان الفكري والإعلامي هو امتدادٌ للعدوان العسكري، وأن الردّ عليه يكون بإحياء العلم والوعي والإيمان والتربية القرآنية. فالوعي القرآني هو السلاح الأهم في مقاومة الانكسار الثقافي، إذ به يُميّز المؤمن بين الحق والباطل، وبين الثقافة القرآنية الأصيلة والثقافة الوافدة المنحرفة.

المطلب الأول : ترسيخ الوعي الإيماني والفكري

قال تعالى:﴿**قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ**﴾ (الأنعام: ١٠٤). يقول القمي في تفسيرها: البصائر هي الحجج والآيات التي تفتح العقول وتبصر القلوب، فمن أخذ بها نجا، ومن أعرض عنها ضلّ. [28] وقال الطبرسي: البصائر تعني الوعي الذي يمنع من الانخداع بالباطل، وهي سلاح المؤمن أمام التضليل الفكري والإعلام أما الطبري ففسّرها بقوله: البصائر حجج الله التي يبيّن بها سبيل الحق، فمن تعامى عنها فقد رضي لنفسه الجهل. [29] ومن خلال هذه التفاسير يتضح أن أولى طرق المواجهة الفكرية هي التنوير الإيماني، أي بناء البصيرة في مقابل التزييف، لأن الفكر المظلم هو مهد الهزيمة الحضارية.

المطلب الثاني : مقاومة الشبهات والدعايات المغرضة

لقد حذر القرآن الكريم من الشبهات الفكرية التي يثيرها الأعداء لإضعاف الإيمان وتشكيك الناس في وعود الله ورسوله، فقال تعالى:﴿**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ (الأحزاب: ١٢)يقول العياشي عن الإمام الباقر (ع): هؤلاء هم الذين ضعف يقينهم حين رأوا الأحزاب، فشكّوا في وعد الله، وهي فتنة الشبهات التي تسبق الهزيمة. [30] ويقول القرطبي في تفسير الآية: الآية تصف حالة الانكسار النفسي الناتج عن الإرجاف والدعاية، فالذين ضعفوا صدقهم ظنوا أن وعد الله خرافة، فهُزموا قبل أن يقاتلوا. [31] فالقرآن يربط بين الشبهة الفكرية والهزيمة النفسية، ويجعل مقاومة الشبهات فريضة معرفية لا تقل أهمية عن الجهاد المسلح.

المطلب الثالث : العلم والتعليم كوسيلة لتحصين الأمة

قال تعالى:﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (الزمر: ٩). قال الشيخ الطوسي: الآية دعوة إلى طلب العلم لأنه أساس كل إصلاح، والجاهل لا يستطيع أن يدافع عن دينه ولا أن يقاوم خصمه بالحجة. [32] وقال ابن عاشور: بهذه الآية أقام القرآن مبدأ تفوق العلم على القوة، لأن النصر في ميادين الفكر هو الأصل في كل نصر مادي. [33] كما قال الإمام علي (ع): العلم سلطان، من وجده صال، ومن فَقَده صِيل عليه. [34] من هنا يظهر أن التعليم ليس ترفًا حضاريًا، بل **ضرورة استراتيجية لحفظ العقيدة وبناء الوعي المقاوم**، فكل جهلٍ يفتح بابًا للهزيمة.

المطلب الرابع : الجهاد بالبيان والكلمة

قال تعالى:﴿**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ (الفرقان: ٥٢). يقول الطبرسي في تفسيرها: أي جاهدهم بالقرآن، بالعلم والبرهان والبيان، فذلك جهاد أعظم من القتال، لأنه يحطم الباطل في جذوره. [35] وقال الرازي: الجهاد الكبير هو الحجة والبيان، لأن المقصود من السيف حماية الحجة، فإذا أُقيمت الحجة انتصر الدين. [36] ويرى العلامة الطباطبائي أن هذه الآية تُرسّخ مفهوم **الجهاد الثقافي والفكري**، إذ قال: القرآن جعل البيان جهادًا، لأن الحرب الفكرية لا تقل خطورة عن الحرب المادية، بل هي أصلها ومصدرها. [37] وهذا الجهاد بالكلمة هو الذي حوّل الضعف إلى قوة في صدر الإسلام، وهو السبيل ذاته لمواجهة الغزو الفكري المعاصر.

المطلب الخامس : بناء الهوية الثقافية الإسلامية

قال تعالى:﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٩). يقول القمي: أي لا تضعفوا أمام ثقافة الكفار ودعاياتهم، فإن العلوّ لكم بالإيمان لا بالحضارة الدنيوية. [38] وقال ابن كثير: المؤمن عزيز بدينه وإن ضعف ماله أو عدده، لأن الإيمان هو هوية المسلم التي ترفعه فوق ذلّ التقليد.ويضيف القرطبي: الآية نزلت لتعيد الثقة إلى المؤمنين بعد أحد، وهي قاعدة في بناء الشخصية الإسلامية: الثبات على الهوية ولو بعد الانكسار. فالهوية الإسلامية — في نظر القرآن — ليست شكلًا خارجيًا، بل منظومة فكرية وقيمية تحصّن الأمة من الذوبان في ثقافات الغير. ولذلك كان الدفاع عن الهوية **فريضة فكرية** لحماية الوعي من الغزو الثقافي الذي يُغيّر المفاهيم قبل أن يُغيّر الواقع.

المبحث الرابع: المواجهة العملية (العسكرية والسياسية)لعوامل الانكسار والهزيمة في الحروب

بعد أن عالجنا الأبعاد الإيمانية والأخلاقية والفكرية لمواجهة عوامل الانكسار، ننتقل هنا إلى الوجه العملي للمواجهة: كيفية إدامة القدرة العسكرية والسياسية للدولة والأمة، بحيث لا تَهزم في الميدان ولا تُفقد مقدَّراتها عند الشدائد. إن القرآن والسنة لم يغفلا بعد الدعوة للإيمان والتعليم أخلاقيًا وفكريًا عن واجب الأخذ بالأسباب العملية: التخطيط، الإعداد، التدريب، الاستخبارات، القيادة الرشيدة، والاقتصاد الحربي — فالجهاد في الشريعة يتضمّن بعدًا عمليًا لا يمكن تجاهله.قال تعالى مخاطبًا أمة المؤمنين في أمر الإعداد:﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ...**﴾ (الأنفال: ٦٠). وهذه الآية تمثل قاعدة عملية قرآنية تربط بين الاستعداد المادي والدور الوقائي الذي يَمنع تمكين العدو.

المطلب الأول: التخطيط الاستراتيجي الشامل (السياسي-العسكري-الاقتصادي)

أولا: الأساس القرآني للتخطيط القرآن لا يناقض التوكّل على الله، لكنه يأمر بالأخذ بالأسباب والتفكير المنهجي:وكما قال الله عز وجل في هذا الموضع

﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ (آل عمران: ١٥٩). والإرادة والتخطيط شرط لأخذ التوكل كموقف إيماني فعال ليس سلبيًا.

ثانيا: آراء المفسرين حول الأخذ بالأسباب يعلّق الطبرسي على آية الأنفال: إن القوة تشمل كل ما يُعدّ من سلاح وعدة وعلم وخطة، ومن ترك الإعداد فقد عصى أمر الله . [39] ويُشدِّد القرطبي على أن الإعداد ليس ترفًا بل واجبًا شرعيًا مؤقتًا للدفاع عن الأمة . [40]

ثالثا: مكونات التخطيط الشامل

١. وضع استراتيجية وطنية تُواكب محاور القوة (العسكرية، الاقتصادية، الفكرية)؛

٢. تكامل مؤسسات الدولة (وزارات، دفاع، داخلية، إعلام، تعليم)؛

٣. تقييم المخاطر والقدرات وتخطيط الطوارئ؛

٤. تأمين مصادر التمويل المستدامة للقدرة الدفاعية؛

٥. تبيان قواعد الاستخدام الشرعي للقوة والضوابط الأخلاقية.

المطلب الثاني: القيادة وإدارة العمليات (قِيادة رشيدة قابلة للمساءلة)

أولا: نمط القيادة الشرعية في القرآنالقيادة في القرآن مُرادفة للهداية والصلاح، لا للسلطة فقط: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾ (السجدة: ٢٤). والقيادة الصالحة تجمع بين العلم والأمانة والقدرة على الإصلاح.

ثانيا: أقوال المفسِّرين يقول الطوسي عن قوله يوسف: ﴿**إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾: هذه صفة القائد الناجح: أمانة في الحفظ ومعرفة في التدبير . [41] ويشير ابن عاشور إلى أن الضعف القيادي يؤدي سريعًا إلى الفوضى ومن ثم الهزيمة [42]

ثالثا: خصائص القيادة الفاعلة في الحرب

- القدرة على اتخاذ قرار سريع ومدروس؛
- الشفافية والمساءلة أمام الأمة أو مؤسساتها؛
- ربط الخطط بالقيم وعدم التفريط في الأخلاق العسكرية (معاملة المدنيين، حفظ الأمانات)؛
- توزيع الصلاحيات وإشاعة روح المبادرة لدى الضباط والقيادات الميدانية؛
- الاستماع للخبراء (عسكريين، استخباراتيين، لوجستيين، إعلاميين).

مثال تطبيقي :غزوة أحد تُعلّم أن مخالفة القيادة (انصراف الرماة) أدت إلى هزيمة جزئية — الدرس: الانضباط والامتثال للخطة أمر حاسم.

المطلب الثالث: التدريب والجاهزية واللوجستيات

أولا: التدريب المستمر كقوة مضادة للانكسارالنبي ﷺ علّم التهيؤ والتمرّن: الحديث عن "القوة الرمي" (رواه مسلم) يوضّح أهمية الإعداد الفني للفرد والجماعة. قال ابن كثير: إن الرمي من وسائل القوة . [43]

ثانيا: لوجستيات الحرب (تموين، نقل، صيانة)التأمين اللوجستي أساس بقاء القوة القتالية: القرآن يحمل الأمة مسؤولية الإعداد بحسب الاستطاعة. الطبرسي يذكّر بتوسيع مفهوم القوة ليشمل العلم والاقتصاد . [44]

ثالثا: التدريب المدني والاحتياطي

- تجهيز احتياطي مدني وتقنيات دفاع مدني؛
- التدريب على الإسعاف والإنقاذ لإبقاء الروح الوطنية؛

- محاكاة الطوارئ والتجارب العملية.

المطلب الرابع: الاستخبارات والمعلومة (أمن المعلومات والاستخبارات الاستباقية)

أولا : أهمية المعلومة

القرآن أظهر آثار التضليل والإرجاف؛ المعركة اليوم تبدأ بالمعلومة.آيات مثل قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ (الحجرات: ٦) — قاعدة لاستخبارية في مواجهة الشائعات.

ثانيا: منهج المفسِّرين

الفخر الرازي والقرطبي ناقشا أثر الإرجاف وكيف أن نشر الأخبار المضللة يقوّي العدو داخليًا [45]

ثالثا: عناصر نظام استخباراتي فعال

- استخبارات احترافية تجمع بيانات بشرية وإلكترونية؛
- تحليل استخباراتي يدعم صانعي القرار؛
- إجراءات أمنية سيبرانية لحماية البنى التحتية؛
- آليات كشف التضليل الإعلامي والردّ السريع؛
- تعاون دولي للاستخبارات عند الحاجة مع ضوابط سيادية.

ملاحظة استراتيجية :التفوق الاستخباري يمكنه تعويض الفجوات العددية والمادية عبر الضربات الاستباقية ومنع المفاجآت.

المطلب الخامس: الاستراتيجية والتكتيك (التوازن بين الأفق الطويل والقصير)

أولا: الفرق بين الاستراتيجية والتكتيك

- الاستراتيجية: رؤية شاملة لأهداف الدولة ومقومات القوة.
- التكتيك: تنفيذ المعارك والعمليات بشكل يحقق أهداف الاستراتيجية.

ابن عاشور يؤكد على أن المعرفة السياسية واجبة لكي لا تُفاجأ الأمة بالتحالفات . [46]

ثانيا: تكتيكات مناسبة لأحوال متفاوتة

- دفاع تقليدي/حرب مواقع؛
- حرب متحركة/منع بالعمليات؛
- حرب غير متناظرة (عند تفاوت القوى) — اعتماد تكتيكات الكرّ والفرّ، حرب العصابات، الهجمات السيبرانية.
- استراتيجية ردع مبنية على قدرة معلنة وخفية (ردع تقليدي ومؤسساتي).

ثالثا: الأخذ بالمعايير الشرعية في الاستراتيجية

القيود الشرعية على الحروب (تحريم استهداف المدنيين، حفظ الأمانات، العدل في المعاملة) تحدد مضمون الاستراتيجية، وهذا ما بيّنه القرطبي والطبرسي في تفسيراتهم لآيات الحرب.

الخاتمة

بعد استقراء النصوص القرآنية والروائية، وتحليل مواقف المفسرين من المدرستين، يتضح أن القرآن الكريم قد قدّم منظومة متكاملة لمواجهة الهزيمة والانكسار، تبدأ من داخل الإنسان وتنتهي إلى بناء الأمة على جميع المستويات الإيمانية والفكرية والاجتماعية والعسكرية. فالقرآن لا ينظر إلى الهزيمة باعتبارها حدثًا عسكريًا عابرًا، بل سلوكًا تراكميًا له جذور في العقيدة، والأخلاق، والثقافة، والنظام الاجتماعي والسياسي. وقد بيّنت الدراسة أن أهم ما يميز المواجهة القرآنية أنها تربط بين المعنى الغيبي والعمل الواقعي؛ فهي تبدأ من تقوية القلب بالثقة بالله، وتصل إلى إعداد السلاح والخطة. فالهزيمة — في المنظور القرآني — لا تُعالج بخطاب الندم، بل بإعادة بناء الذات المؤمنة والمجتمع الواعي القوي. وقد جاءت آيات الجهاد والإعداد لتربط بين عناصر القوة الثلاثة:

١. الإيمان بالله (الركيزة المعنوية)
٢. الوحدة والعدل (الركيزة الاجتماعية)
٣. الإعداد والتخطيط (الركيزة العملية)

ومن خلال التحليل المقارن لأقوال المفسرين، تبيّن ما يلي:

- المفسرون الروائيون الشيعة (كالقمي والعياشي والطبرسي) ركزوا على أن النصر والهزيمة يرتبطان ارتباطًا مباشرًا بولاية الحق وطاعة الأئمة وأداء الأمانة، وأن كل انكسار هو نتيجة تخلٍّ عن الأمر الإلهي.
- أما المفسرون السنة (كالطبري، والقرطبي، والرازي، وابن كثير، وابن عاشور)، فقد أبرزوا أن عوامل الانكسار تنشأ من المعصية، وترك الطاعة، والتنازع، وضعف القيادة، والجهل بأسباب النصر، وأن العلاج يكون بالصبر، والوحدة، والإصلاح، والأخذ بالأسباب.

واتفقت المدرستان على أن النصر الإلهي لا يُمنح إلا للأمة التي تحقق العدل الداخلي والإيمان الحقيقي، كما في قوله تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ (الرعد: ١١).

وفي ضوء ذلك يمكن القول إن القرآن قد رسم للأمة منهجًا في المواجهة يعتمد على التوازن بين الجانب الروحي والجانب العملي، وبين الاستعانة بالله والأخذ بالأسباب، ليجعلها قادرة على تحويل الهزيمة إلى بداية جديدة للنهوض.

التوصيات

١. تعميق التربية الإيمانية والروحية في البرامج التربوية والعسكرية، لتثبيت قيمة الصبر والتوكل في نفوس الأفراد.

٢. تفعيل مبدأ الوحدة والتكافل الاجتماعي والسياسي، باعتباره الضمانة الأولى ضد الانقسام الذي يولّد الانكسار.

٣. إعادة صياغة الخطاب الديني والإعلامي على أساس الوعي القرآني المقاوم، لمواجهة الغزو الثقافي والفكري الذي يسبق الانكسار الميداني.

٤. تأسيس مراكز بحثية وجامعية متخصصة في دراسة "فقه النصر والهزيمة في القرآن والسنة"، تجمع بين التفسير، وعلم الاجتماع، والعلاقات الدولية.

٥. إحياء دور العلماء والمفكرين في صناعة الرأي العام المقاوم، بتوضيح السنن الإلهية في التاريخ.

٦. اعتماد التخطيط الاستراتيجي الشامل الذي يدمج بين القوة المادية والمعنوية، ويوازن بين الدفاع العسكري والأمن الفكري.

٧. إعداد برامج تدريبية ميدانية تجمع بين الأخلاق والجهاد والعلوم العسكرية الحديثة، على نهج قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠).

٨. إدخال مادة "الوعي القرآني في الأزمات والحروب "في المناهج الجامعية والدينية؛ لتأصيل فهم الهزيمة والنصر على ضوء الوحي.

٩. تعزيز الإعلام الواعي القائم على الحقائق لا الإرجاف، باعتباره خط الدفاع الأول في الحرب الفكرية.

١٠. التمسك بالهوية الإسلامية والثقافة القرآنية الأصيلة في مواجهة التغريب، مع الانفتاح الواعي على العلوم والتجارب الإنسانية.

هوامش البحث

---

[1]) (نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣)

[2]) (الطبرسي. مجمع البيان. ج٣. ص١٥٥)

[3]) (الرازي. مفاتيح الغيب. ج٨. ص٣٢٢)

[4]) (الطباطبائي. الميزان. ج٤. ص٣١٥)

[5]) (القمي. تفسير القمي. ج٢. ص٢١٢)

[6]) (الطبري. جامع البيان. ج٢٢. ص١٤٥)

[7]) (الطوسي. التبيان. ج٤. ص٧٥)

[8]) (القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج٤. ص٢٢١)

[9]) (الطبرسي. مجمع البيان. ج٣. ص١٦٠)

[10]) (ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج٤. ص٢١٤)

[11]) (القمي. تفسير القمي. ج١. ص١٨٩)

[12]) (الطبرسي. مجمع البيان. ج٢. ص٤٥٠)

[13]) (الطبري. جامع البيان. ج٤. ص٢٧)

[14]) (ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج٤. ص٢٠٥)

[15]) (الطوسي. التبيان. ج٣. ص٢٠١)

[16]) (العياشي. التفسير. ج١. ص٢٨٧)

[17]) (الرازي. مفاتيح الغيب. ج١٠. ص٢٢٠)

[18]) (ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج١. ص٣٩٥)

[19]) (الطبرسي. مجمع البيان. ج٥. ص٧٦)

[20]) (الطباطبائي. الميزان. ج١٢. ص٦٥)

[21]) (القمي. تفسير القمي. ج١. ص٢١٦)

[22]) (الطبري. جامع البيان. ج٦. ص٣٠)

[23]) (الرازي. مفاتيح الغيب. ج١١. ص٣٥)

[24]) (صحيح مسلم. ج٤. ص١٩٩٩)

[25]) (العياشي. التفسير. ج٢. ص١٤١)

[26]) (ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢. ص٢٨٠)

[27]) (القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج٩. ص١٤٢)

[28]) (القمي. تفسير القمي. ج١. ص٢٧٦)

[29]) (الطبري. جامع البيان. ج٨. ص٧٧)

[30]) (العياشي. التفسير. ج٢. ص١٢٢)

[31]) (القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج٨. ص٨٨)

[32]) (الطوسي. التبيان. ج٧. ص٢٢١)

[33]) (ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج٢٣. ص١٥)

[34]) (نهج البلاغة. الحكمة ١٤٦)

[35]) (الطبرسي. مجمع البيان. ج٦. ص٣٤٥)

[36]) (الرازي. مفاتيح الغيب. ج١٧. ص١٢)

[37]) (الطباطبائي. الميزان. ج١٥. ص٤١٠)

[38]) (القمي. تفسير القمي. ج١. ص١٩٠)

[39]) الطبرسي. مجمع البيان. ج٥. ص٢٢٠

[40]) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج٨. ص٥٨).

[41]) (الطوسي. التبيان. ج٦. ص١٣٥)

[42]) (ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٢. ص١٧٨).

[43]) (ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج٢. ص٣٣٠).

[44]) (الطبرسي. مجمع البيان. ج٦. ص٣٢٥).

[45]) (الرازي. مفاتيح الغيب. ج١٥. ص١٣٢).

[46]) (ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج١٠. ص٢٣٠).

المصادر

القرآن الكريم،

١. القمي، علي بن إبراهيم .تفسير القمي .قم: مؤسسة دار الكتاب،

٢. العياشي، محمد بن مسعود .تفسير العياشي .طهران: المكتبة العلمية الإسلامية،

٣. الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن .التبيان في تفسير القرآن .النجف الأشرف: دار إحياء التراث العربي،
٤. الطبرسي، الفضل بن الحسن .مجمع البيان في تفسير القرآن .بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،
٥. الطبري، محمد بن جرير .جامع البيان عن تأويل آي القرآن .بيروت: دار الفكر،
٦. الفخر الرازي .مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) .بيروت: دار إحياء التراث العربي،
٧. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري .الجامع لأحكام القرآن .بيروت: دار الكتب العلمية،
٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر .تفسير القرآن العظيم .بيروت: دار المعرفة
٩. العلامة الطباطبائي، محمد حسين .الميزان في تفسير القرآن .بيروت: مؤسسة الأعلمي،
١٠.ابن عاشور، محمد الطاهر .التحرير والتنوير .تونس: الدار التونسية للنشر،
١١.الكليني، محمد بن يعقوب .الكافي .طهران: دار الكتب الإسلامية.
١٢.الصدوق، محمد بن علي .من لا يحضره الفقيه .قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
١٣.الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن .تهذيب الأحكام .النجف الأشرف: دار الكتب.
١٤.المفيد، محمد بن محمد .الأمالي .قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد،
١٥.أحمد بن حنبل .المسند .بيروت: دار صادر،.
١٦.البخاري، محمد بن إسماعيل .صحيح البخاري .بيروت: دار ابن كثير، حديث.(7320)
١٧.مسلم بن الحجاج .صحيح مسلم .بيروت: دار إحياء التراث العربي،
١٨.الترمذي، محمد بن عيسى .سنن الترمذي .بيروت: دار إحياء التراث العربي،
١٩.أبو داود، سليمان بن الأشعث .سنن أبي داود .بيروت: دار الفكر،.
٢٠.نهج البلاغة .جمع الشريف الرضي. بيروت: دار المعرفة،
٢١.ابن أبي الحديد، عبد الحميد .شرح نهج البلاغة .بيروت: دار إحياء التراث العربي،
٢٢.الشهيد الصدر، محمد باقر .سنن التاريخ في القرآن .قم: دار التعارف، ١٩٨٠م.
٢٣.محمد الغزالي .فقه السيرة .القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٦م.
٢٤.الرافعي، مصطفى صادق .وحي القلم .القاهرة: دار نهضة مصر، ج٢.
٢٥.طه جابر العلواني .سنن الهزيمة والنصر في القرآن الكريم .القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٩م.
٢٦.الطباطبائي، محمد حسين .قراءات في السنن الإلهية في التاريخ .قم: جامعة المصطفى، ٢٠٠٢م.
٢٧.عبد الكريم بيّوض .الحروب في القرآن: دراسة تحليلية .عمّان: دار عمار، ٢٠١٠م.